

تفسير البحر المحيط

@ 392 \$ 1 (سورة إبراهيم) \$ 1 .

2 ({ الر كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا نَسِيًا عَلَى الْأَخْزَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْكَافِرِينَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِذْ كُنتُمْ رِعْمَةً مِنَ اللَّهِ عَالِيَهُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِنَّ لِي لَأَبْنَاءًا كَافِرِينَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنَ قِبَلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِئَافُوهَا هُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَافِرُونَ أَرْسَلْنَا بِهِمْ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونََنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتِ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ جَلَ مِّسْمَمٍ قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ لِيُخْرِجَ اللَّهُ أُمَّتُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ }) 2 .

الذُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ إِلَيْهِ صِرَاطُ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّيْلِ السَّادِي
لَهُ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ * وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِمَّنْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ * الَّذِينَ يَسْتَحْبِبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ
بَعِيدٍ } : هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور ، وعن ابن عباس وقتادة ، هي مكية إلا
من قوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا إِلَى
قَوْلِهِ { إِلَى الذَّارِ } وارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جداً ، لأنه ذكر
فيها : { وَلَوْ أَنَّنَّ * قَرْنًا } ثم { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا }
ثم { وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ } فناسب هذا قوله الر كتاب أنزلناه إليك ،
وأيضاً فإنهم لما قالوا على سبيل الاقتراح { لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةً مِّنْ
رَّبِّهِ } وقيل له : { قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن
أَنَابَ } أنزل الر كتاب أنزلناه إليك كأنه قيل : أو لم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه
إليك لتخرج الناس من الظلمات هي الضلال ، إلى النور وهو الهدى . .
وجوزوا في إعراب الر أن يكون في موضع رفع بالابتداء ، وكتاب الخبر ، أو في موضع رفع
على خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذه الر ، وفي موضع نصب على تقدير : الزم أو اقرأ الر .
وكتاب أنزلناه إليك جملة مفسرة في هذين الإعرابين ، وكتاب مبتدأ . وسوغ الابتداء به كونه
موصوفاً في التقدير أي : كتاب أي : عظيم أنزلناه إليك . وجوزوا أن يكون كتاب خبر مبتدأ
محذوف تقديره : هذا كتاب ، وأنزلناه جملة في موضع الصفة . وفي قوله : أنزلناه . وإسناد
الإنزال إلى نون العظمة ومخاطبته تعالى بقوله إليك ، وإسناد الإخراج إليه عليه الصلاة
والسلام ، تنويه عظيم وتشريف له صلى الله عليه وسلم) من حيث المشاركة في تحصيل الهداية
بإنزاله تعالى ، وبإخراجه عليه الصلاة والسلام ، إذ هو الداعي والمنذر ، وإن كان في
الحقيقة مخترع الهداية هو الله تعالى . والناس عام ، إذ هو مبعوث إلى الخلق كلهم ،
والظلمات والنور مستعاران للكفر والإيمان . ولما ذكر علة إنزال الكتاب وهي قوله : لتخرج
قال : بإذن ربهم ، أي : ذلك الإخراج بتسهيل مالكم الناظر في مصالحهم ، إذ هم عبده ،
فناسب ذكر الرب هنا تنبيهاً على منة المالك ، وكونه ناظراً في حال عبده ، وبإذن ظاهره
التعلق بقوله : لتخرج . وجوز أبو البقاء أن يكون بإذن ربهم في موضع الحال قال : أي
مأذوناً لك . وقال الزمخشري : بإذن ربهم بتسهيله وتيسيره ، مستعار من الإذن الذي هو
تسهيل الحجاب ، وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق انتهى . وفيه دسيعة الاعتزال .